الموسم

مجلة فصلية مُصوّرة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 12) – 1991 – 1412

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

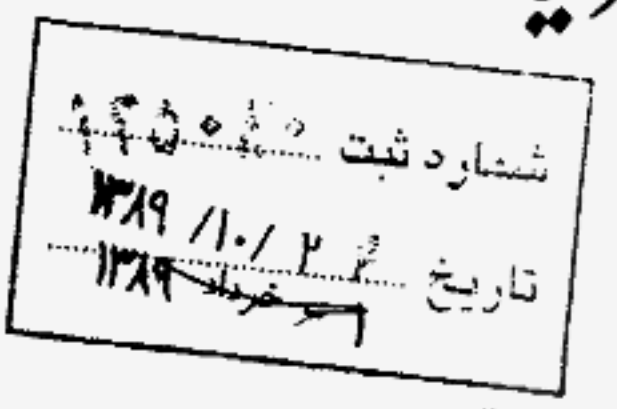

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

AL KUFA HOUSE POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
HOLLAND

Shiabooks.net

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ $ وللمؤسسات ١٠٠ $.

من وحي عاشوراء ومأتم الحسين

الدكتور عبد الكريم اليافي (سورية)

الحمد لله الموقن بشمول نعمه ومحامده ، والصلاة والسلام على سيد الخلق نبع المعرفة والهدى من اصفىٰ مصادره وموارده وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فإن في تاريخ الأمم والشعوب نكبات مدمّرة ومآسي فاجعة كما فيه أمجاد رائعة ومآثر خالدة . وهكذا الحياة كلها صفو وكدر وراحة ولعب وسرور عارض وألم دائب .

بُنِيَتْ على كدر وأنت تريدها
خلواً من الأحزان والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب في الماء جذوة نار

تظهر في الدنيا منارات شماء تجلو غسق الدجى عن الربوع وتضيء السبل القويمة للناس . ولكن الجبلات الدنيئة تحفزها شياطين

** الدكتور عبد الكريم بن توفيق بن عبد الوهاب بن محمد بن عمر اليافي (وعمر اليافي جده الأكبر شاعر صوفي مشهور له خلوة معروفة في جامع بني امية بدمشق وله ديوان شعر مطبوع) .

والدكتور عبد الكريم من مواليد حمص ١٩١٩م ، فهو حمصي مولداً ، ودمشقي موطناً وحنفي مذهباً وحسيني نسباً .

مجاز في العلوم من باريس ١٩٤٠ وفي الآداب من باريس ١٩٤١ ، يحمل خمس شهادات دراسات عليا في الفلسفة والاجتماع (باريس ١٩٤١ ـ ١٩٤٥) ، دكتور فلسفة من باريس عام ١٩٤٥ . خبير رئيسي من قبل الأمم المتحدة في علم السكان والاحصاء الاجتماعي ، استاذ في جامعة دمشق ـ عضو مجمع اللغة العربية ، رئيس تحرير معجم العماد الموسوعي ـ له خمسة عشر كتاباً مطبوعاً في مختلف المجالات ابرزها : دراسات فنية في الأدب العربي ـ وتمهيد في علم الاجتماع والفلسفة والفيزياء الحديثة ، وفي علم السكان .

ـ صحبته الى مؤتمر الغدير في لندن عام ١٩٩٠ فرايت فيه الخلق القويم والمعرفة الموسوعية وتعدد جوانب الخبرة العلمية والنبوغ .

الإنس والجنّ تسعى لتدمر تلك المنارات وتنشر مكانها الظلمات والعمايات إرضاءً لنوازع الأثرات واستجابة لنوازع الشهوات وانحداراً نحو المادة الزائلة والجاه العارض . وليس هذا بالجاه وانما هو الجهل والخسة والانحطاط .

ولقد شرّف الله جل جلاله العرب بارسال رسول إليهم من أنفُسِهم ومن أنْفَسِهم عزيزٍ عليه عَنَتُهم وما يلقونه من شظف العيش ورداءة الجهالة حريص على رفعتهم ، تعمر قلبه الرأفة والرحمة ويسعى ليتمم مكارم الاخلاق أول الأمر في جزيرة العرب ثم لتشيع الهداية في أنحاء المعمورة كالشمس المشعة التي هي أصل الحياة . فهو رسول الانسانية دانيها وقاصيها . وهو بتعاليمه وهدايته والكتاب الذي تنزل به الروح الأمين عليه رحمة للناس جميعا ليخرجهم من الظلمات إلى النور ومن الطاغوت والتفرق إلى التضامن والتآزر والاستمساك بعروة الله الوثقى التي لا انفصام لها .

ولقد أكرم الله جل جلاله رسول العظيم بريحانتيه سيدي شباب أهل الجنة في الجنة الحسن والحسين عليهما السلام . وقد عاشا في كنف الرسول عليه الصلاة والسلام وأمهما فاطمة الزهراء وابيهما أمير المؤمنين علي عليه السلام أول المؤمنين المسلمين الذي أبلى البلاء الأكبر في دعم الرسالة المحمدية وتعمق مبادئها السامية . ولهذا من الطبيعي أن يكون السبطان الكريمان أحفظ العرب لمآثر الرسول وأشدهم تمثلاً لأخلاقه ومناقبه وأعماله ومساعيه في إقامة العدل وتحقيق القيم الانسانية الرفيعة التي لا تميز بين القبائل والالوان والشعوب والناس إلا بالتقوى والعمل الصالح وإنجاز ما فيه صلاح العباد والبلاد ورفع الانسان فردا وجماعة في سلم الحضارات وطريق التقدم وتعهد أموره في الحياة الدنيا التي هي سبيل الخلود والأمن في الدار الآخرة .

ولهذا لا غرو أن يخشىٰ الامام الحسين عليه السلام حين بويع يزيد بن معاوية على المسلمين الانحراف والضياع والتنكب عن السبيل السوي في اقامة العدل بين الناس . ولا عجب أن يخاف الامام على مبادىء الدين السمح الاهمال والأغفال والتشويه والميل نحو الشبهات والشهوات والفساد في الأرض .

وهكذا أنف الأمام ابو عبد الله من مبايعته وسار نحو جماعةٍ في الكوفة حسبها من أنصاره أغروه بالمسير إليهم ووعدوه بالمبايعة دون أن يكلفوا لأنفسهم القدرة على مناصرته حق المناصرة والدفاع عنه حق الدفاع تلقاء قوة غاشمة تريد أن تتحكم بالبلاد والعباد بنوازعها الهمجية القبلية وشهواتها الدنياوية .

وهذا كله يمكن أن يفهم وان يفسر وان يُؤوَّل تأويلاً وتفسيراً وفهماً على نحو خاص وهو حب الأمويين للدنيا وللمال وللجاه وللتحكم مع العمى عن الهدى والرشاد . ولكن الذي لا يفهم ولا يفسر ولا يؤول بنحو من الأنحاء ما حصل في وقعة كربلاء بين خلاصة آل البيت الذين ساروا مع الامام الحسين وهو ذووه وأهله وبنوه وإخوته واخواته وهم الذين على وجوههم سنا من أنوار النبوة وبين حشد من أجلاف العرب وفجارهم لم ينفذ إلى قلوبهم نور النبوة والاهتداء بهدى الاسلام بل كانت على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي صدورهم وقر بل إحنٌ للذين اهتدوا وآمنوا فكيف بالذين هم أعلام الهدى والايمان لا أستطيع أن أتصور قبح ما حصل في ساح كربلاء التي غدت كرباً وبلاء على حد تعبير الشريف الرضي دون الخجل والاستحياء من رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم وهو الذي كان له فضل هداية العرب وانقاذهم من الضلال والتأخر بل هو الذي شرف الله عز وعلا الانسانية باجتبائه واصطفائه وحمل رسالته التي هي أعلى الرسالات .

لا أجد مَعَرَّةً تصم العرب وأهل الكوفة والأمويين وعملاءهم اذ ذاك كالمعرة التي حصلت في ساحة كربلاء . انها خزي وأي خزي نقوش على جدار التاريخ نصبت الشقاق والتفرقة بين المسلمين الذين هم أمة واحدة مفروض فيها ان يكون ابناءها شهداء على الناس .

اي كابوس يحيط بي ويأخذ بمجامع قلبي وأفكاري حين أتصور مذبحة كربلاء سبط الرسول وريحانته في الصحراء قريب من الفرات يطلب إلى عمر بن سعد في إحدى الروايات إما ان يتركه يرجع أدراجه من حيث أتى وإما أن يخلي سبيله ليذهب إلى دمشق ويفاوض يزيد، واما أن يُيَسّر له الالتحاق ببعض ثغور المسلمين للجهاد ويرفع الطلب إلى أمير الكوفة عبيدالله بن زياد فيرفض الطلب جملة ويكون الاصرار على بيعة يزيد أو القتال ويبلغ العطش من آل البيت مبلغه فيمنعون الماء ويحلؤون عنه ولكن الامام لا يتزحزح عن مبادئه ولا يقبل الذل وهو ما هو علماً وتقى وشهامة وشجاعة .

وهذا ابنه الابر علي بن الحسين الشاب الشجاع ينزل إلى الميدان وقد برز إليهم وهو غلام . يروي ابو الفرج الاصفهاني في كتابه «مقاتل الطالبيين» أنه أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يشد عليهم ثم يرجع الى ابيه فيقول يا أبت العطش : فيقول له الحسين : اصبر حبيبي فإنك لا تمسي حتى يسقيك رسول الله (ص) بكأسه وحسبك بكُرة بعد كرة حتى رُمي بسهم فوقع في حلقه فخرقه وأقبل ينقلب في دمه ثم نادى : يا أبتاه عليك السلام هذا جدي رسول الله (ص) يقرئك السلام ويقول عجل القدوم إلينا وشهق شهقة فارق بها الدنيا .

يذكر ابو الفرج شهادة رجل حضر المأساة وهو حميد بن مسلم وهي : سماع الحسين وهو يقول : قتل الله قوماً قتلوك يا بني ! ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول (ص) ثم قال : على الدنيا بعدك العفاء قال حميد : وكأني انظر الى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادي : يا حبيباه ! يابن اخاه فسألت عنها فقالوا : هذه زينب بنت علي بن أبي طالب . ثم جاءت حتى انكبّت عليه فجاءها الحسين فأخذ بيدها إلى الفسطاط وأقبل إلى ابنه وأقبل فتيانه إليه فقال : احملوا اخاكم فحملوه من مصرعه ذلك ثم جاء به حتى وضعه بين يدي فسطاطه .

يصعب عليّ أن أعرض صور المأساة الفاجعة كلها ولكني أقتصر منها على الفقرات التالية المأخوذة من كتاب مقاتل الطالبيين : قال : وحمل شمر لعنه الله على عسكر الحسين فجاء الى فسطاطه لينهبه فقال الحسين : ويلكم إن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في الدنيا فرحلي لكم عن ساعة مباح . قال فاستحيا ورجع . قال وجعل الحسين يقاتل بنفسه وقد قتل ولده واخوته وبنو أخيه وبنو عمه فلم يبق منهم أحد وحمل عليه زرعة بن شريك ـ لعنه الله ـ فضرب كتفه اليسرى بالسيف فسقطت صلوات الله عليه ـ وقتله ابو الجنوب زياد بن عبد الرحمن الجُعفي والقثعم وصالح بن وهب اليزني وخوليّ بن يزيد كل قد ضربه وشرك فيه . ونزل سنان بن انس النخعي فاحتز رأسه صلوات الله

عليه . ويقال ان الذي أجهز عليه شمر بن ذي الجوشن الضبابي لعنه الله .

وحمل خوليّ بن يزيد رأسه الى عبيدالله بن زياد . وأمر ابن زياد ـ لعنه الله ـ وغضب عليه أن يوطأ صدر الحسين وظهره وجنبه ووجهه فاجريت الخيل عليه وحمل أهله أسرى أقف عند هذا الحد لأن جميع صور المأساة ونهايتها معروفة وإنما اردت التذكرة والعظة والتبصرة .

لقد استمر حكم يزيد نحو ثلاث سنوات ونصف السنة . في السنة الأولى قتل الحسين . وفي الثانية هاجم المدينة وسلب كل ما بها في ثلاثة أيام . وفي الثالثة هاجم الكعبة .

ولا غرو ان يتملك العالم الاسلامي بأسره مشاعر الخوف والنفور والبغض ولا سيما بسبب قتل الحسين ولقد كان قتله جريمة وأي جريمة وخطأ وأي خطأ جسيم ومأساة وأي مأساة مذهلة .

لقد دعيت منذ حقبة بعيدة الى العراق للاشتراك في مهرجان الشاعر الكبير ابي تمام وزار وفد كنت بينه من وفود المهرجان النجف الشريف ثم مدينة كربلاء والمكان الذي قتل فيه الحسين . وما أدري كيف تركت الوفد يبتعد عني وطفقت أكب على الأرض أقبلها وأبكي بكاء مراً واخاطب نفسي بما خاطب به ابن الرومي نفسه :

إبْكِ فمن أحسن ما في البكا
أن البكا للوجد تحليل

وهو إذا أنت تَبيَّنْتَه
وَجْدٌ على الخدين محمول

ثم تماسكت إذ لا يد لإنسان في تغيير مجرى التاريخ وإعادة دورته وعكفت على الأ أذكر الماضي الا بالصبر الجميل . وقد ذكرت إذ ذاك بيت دعبل المشهور في رثاء الحسين وآل البيت :

بنات زياد في القصور مصونة
وآل رسول الله في الفلوات

وتملكتني هذه المشاعر بل أشد منها حين كنت اكتب كلمتي هذه بمناسبة مآتم عاشوراء وهو الذكرى الخمسون وثلاث المائة والألف لوفاة الإمام وتصورت ما آلت إليه حال العرب وحال المسلمون في أقطار الأرض من تفرق وشتات وتأخر وتأملت الهجوم الذي يشنه عليهم المستعمرون خفية وجهلاً تخيلت حملات التنصير الدائبة في أندونسية والباكستان وافريقية وجاشت في صدري مأساة فلسطين وعنجهية الصهيونية الذين يقتلون أطفالنا العزّل وهجرة اليهود السوفيات التي تتلامح أخطارها ومغباتها ، وشعرت كم بعد المسلمون عن حقائق دينهم السمح العظيم الذي جوهره التوحيد : توحيد الله عز وجل بذاته وصفاته وأفعاله وكيف أن هذا التوحيد الايماني يقتضي توحيد القلوب وتوحيد القلوب يفضي إلى توحيد الافكار وتوحيد الافكار يستوجب توحيد الغايات والأعمال وتوحيد الغايات والأعمال يؤدي إلى توحيد المجتمعات الاسلامية وشعوبها كلها . وفي هذا التوحيد ما فيه من قوة هائلة تقف كالسد المنيع والحصن الحصين إزاء أعداء الاسلام والمسلمين وتهيء الوحدة الكبيرة لاحتلال مراكز مهمة في العالم الحديث .

لقد ظهر في الشرق زعيم كشف عن الخلل الذي كان يخامر النظام الشيوعي اطلعتم على نتائجه المذهلة . ولا بد من أن تظهر في الغرب

آجلاً أو عاجلاً حركات تندد بالخلل المتنوع الذي ينخر في نظام الغرب الرأسمالي المستعمر من فساد ومخدرات وظلم واستغلال وتفرقة عنصرية وأمراض حديثة يحار العلماء في شفائها وإتقاء مخاطرها وتنويه كاذب بحقوق الانسان والشعوب وهم أول من يفتئتون عليها كأن هذه الحقوق ينبغي أن تراعى في شعب وتنتهك في شعب آخر كالشعب الفلسطيني مثلا .

والذي أؤمن به أن مبادىء الاسلام وحدها كفيلة في العصر الحاضر باقامة التوازن في المجتمع واسباغ الصحة والعدالة عليه أيا كان . ومن الواضح ان الاسلام كما كان يعيه علي عليه السلام وسبطاه الشهيدان هو غير ما يستخلص من أحوال المسلمين في هذا الوقت .

وقد انتبه بعض الباحثين المنصفين لمكانة الاسلام في الوقت الحاضر تجاه اصطراع الايديولوجيات المتنافرة والمشكلات الحضارية الناشئة ومن جملتهم الطبيب مارسيل بوازار السويسري جاء في كتابه الذي كتبه بالفرنسية وترجمة عنوانه «انسانية الاسلام» . أسمح لنفسي هنا أن ألخص منه بعض الفقرات فهو يقول : «يبدو الاسلام بالجملة في العالم المعاصر مرة جديدة جواباً للسؤالات التي يطرحها مصير الانسانية والمجتمع» ثم يقول : إن اصالة النظام الاسلامي قائم في تصوره للانسانَ الاجتماعي . وهو تصور لا يذيب الفرد في الجماعة كما تفعل الشيوعية ولا تجعل الفرد والمجتمع كلا منهما نداً للآخر كما في البلاد الرأسمالية بل يرى ان التضامن الاجتماعي يحقق احترام حقوق الانسان ضمن الجماعة وفي خارجها حين يعتبر الانسان كائناً تابعاً للقانون الدولي . فالاسلام لا يجرد الانسان من انسانيته بل يوحد الفكر ويمنع أن تصبح الدولة الإله الآلي الذي دان به الغرب والذي تجهد لفرضه الدول التي تدعي الاشتراكية . ذلك ان المسؤولية الفردية بمعناها الملزم عامل كبير في التحرر يحول دون فقدان الشخص فرديته ثم ان توليد المصير إلى الأخرة من شأنه أن يخضع الدولة للقانون ولا يخضع المرء للجهاز السياسي .

وفي هذا النسق الفكري ينوه الاسلام على المستوى الدولي بارتباط الشعوب بعضها ببعض أكثر من كفايتها لذواتها . والخلاصة أن عقيدة الاسلام الشرعية تنوه بالاستقامة والسلم العالمي والواقعية والاعتدال وهي كلها فضائل توائم طبيعة الانسان الروحية»[1] . انتهىٰ كلام بوازار .

كل هذا ومثله معه أثار في نفسي عاصفة من الخواطر والصور والهواجس في تاريخ الاسلام وفي حاضره وفي شأنه المقبل وشأوه الانساني البعيد فاستحوذ ذلك كله عليّ استحواذ فلم أجد منفذاً أخفف هذا الضغط الا بالشعر الذي هو أشد ايحاءً وابعد ايماءً واكثر احاطة وأشفى لمحات من النثر . هذا وما زال بيت دعبل يتردد في خاطري . وكأن حفيداً من حفدة شيطانه المؤمن وقف بجانبي ينفث في أذنيّ هذه الأبيات :

إلى مَ البكاء المرّ في الخلوات ... على مامضى من مؤلم النكبات
ولو ذرفت آماقي الدم ما اشتفى ... فؤادي من التانيب طول حياتي
حسين قضى واحسرتاه وإنه ... منار التقى والدين والبركات

1 – Baisard, L' humanismuede L'islam 391 – 392 .

يـعلمنـا حفظ المبـادىء كلـهـا ودرء فسـادِ الحكـم والشـهـوات
دعوني انح طول الحياة على الأُلى قضـوا في سبيل الله في الفلـوات
تمـزقـهم ايـدٍ وتفـري جبـاهـهم وهم انقـذوهـا من عمى وسبـات
ولكنهـا النفس الخبيثـة اوغـرت تـراثٍ لاسيـاد لـهـا وهـداة
ولكنها العين المـريضـة لم تطق توهج نـور الشمس في الصحوات
وكم أثراتٍ اصلها الجهـل والعمىٰ امضّت فكـانت مـوطـن العثـرات
وكم حسرات عضّت القـوم سالفـاً فـادت بـعقبـاهـا إلى حسرات
ومن يلق من بيت النبـوة واحداً يطـالعـه نـور الله في القسمـات
ومـن يتـلُ آثـارهم حكمـاً لـهـم مليّـا يـلاق الـدر في الصـدفـات
ورثنـا مـع المجـد المؤثـل فـرقـة طـوائفهـا تـربي عـلى الـعشرات
كفاكم بني الاسلام ماحل سـاحكم وأربـعكـم مـن فتنـة وشتـات
مضى مـا مضى من سؤدد وتخلّـف ولكن علينـا عبء مـا هـو آتـي
عـليّ وآل البيت يـدعـوننـا إلى تـعـاوننـا لا مسبـل الـعبـرات
تعـالـوا نتـابـع نهجهم بحصـافـة وإحكـام سعي راسـخ الخطـوات
تعالوا نلم الشمـل في كل مـوطن لنبنـي مجـداً خـالي الثـغـرات
واعـداؤنـا كثـر وهم في ديـارنـا فـواأسفـا للقـدس والحـرمـات
تمـزقنـا الاهـواء شرّ ممـزق ويجمـعنـا ديـن وكنـز عظـات
الا إنمـا التـوحيـد غـايـة ديننـا سيـدفـع عنـا الكـرب والأزمـات
يـعلمنـا نحيـا حيـاة كـريمـة ونـرفـع صرحـاً عـالي الشرفـات
فـاوطـاننـا مشـهـورة بكنـوزهـا وآمـالنـا قـدسيـة اللمحـات
إذا قطـرات المزن ضمت لبعضهـا تـدفق سيـل العـزّ مـن قطـرات
نـعيش بتـوحيـد وحـب محمـد ونحن إذا متنـا ففي الـغـرفـات
نـزول مع الـدنيـا ويبقى كتـابنـا ينـير سنـاه دامس الظلمـات

جاء في الحديث الشريف : لا يزال أمر امتي قائماً بالقسط حتى يكون أول مَن يثلمه رجل من بني امية يقال له يزيد .

رواه ابن حجر في مجمع الزوائد ج٥ ص٢٤١ عن مسند أبي يعلى والبزاز .

وفي الصواعق المحرقة ص١٣٢ عن مسند الروياني عن أبي الدرداء عنه صلى الله عليه وآله وسلم أول مَن يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد .

كتابخانه و مركز اطلاعات
بنياد دايرة المعارف اسلامي